الافتتاحية

مصـــر وامتحـــان الثـــورة

اندلعت الثورات التي تنقلت بين بلد عربي وآخر لأهداف نبيلة وكانت تعبيرا عن كبت كامن في نفوس الناس لمناهضة الاستبداد والفساد والفقر. ولم تكن هذه الثورات منعزلة عن أحد عواملها الكامنة والمهمة جدا المتمثلة في رفض التبعية للخارج ولا سيما للسياسات الغربية التي تسعى دائما للهيمنة ونهب الثروات وترسيخ وجود اسرائيل في قلب الأمة العربية والاسلامية.

غير ان بعضاً من هذه الثورات قد تم مصادرة قرارها من جانب القوى الداخلية والخارجية التي تعرف التعامل مع المتغيرات كما ان بعضها الآخر استُغل لغايات تفتيتية وتدميرية للكيان والمجتمع. فيما تعرضت أخرى للحصار والتصفية.

الثغرة الكبرى في هذه الثورات انه لم يكن، عند من أطلق شرارتها، مشروع في الأساس او كانت رؤيته مجتزأة. وبذلك امكن احتواء الثورات من الخصوم او الاستيلاء عليها من جانب من كان يملك قوة مالية او تنظيمية سابقة فالتحق بالثورة لتسييرها في الاتجاه الذي يريد ومن يمثل، وإن كانوا قوة وازنة إلا أنهم لا يشكلون قوة مطلقة.

المثال المصري يقدم النموذج الأبرز والأوضح والأخطر على ما تقدم.

التحق "الإخوان المسلمون" بالثورة التي فجرّها شباب متحمسون. وما لبثوا ان نجحوا، لقدرتهم على التنظيم، في الانتخابات النيابية ولاحقا، لأسباب اخرى لا علاقة لها بقوتهم التنظيمية، في الانتخابات الرئاسية.

يعتبر الكثير من المحللين وأهل الرأي في مصر ان تنظيم الإخوان استعجل لأسباب لا تزال مجهولة احتكار السلطة المطلقة بما فيها القضائية بعد اصدار الرئيس المصري محمد مرسي اعلاناً دستوريا مكملاً يجعل في قبضته سلطات وصلاحيات لم ينالها حاكم مطلق في تاريخ مصر وفي غير تاريخ مصر.

لقد قامت الثورة المصرية لمناهضة الاستبداد والهيمنة الخارجية، غير انها أعادت تكرار التجربة الساداتية والمباركية وهو ما أفضى إلى ثورة مضادة من قبل معارضي الحكم المطلق بتلاوين مختلفة لن يشفع له ان استفتاء قد حصل على دستور جديد كتب من وجهة نظر واحدة فيما الدساتير تصاغ على أساس أغلبيات حاسمة تقارب الثلثين. كذلك لم تختلف السياسات الاقتصادية والمالية لحكم مرسي عما كانت عليه قبل الثورة لجهة الارتهان للبنك الدولي ومساعداته بما يعكس غياباً لأي رؤية اقتصادية جديدة تعيد القرار الاقتصادي للداخل وتعزز استقلاليته.

وفي الموضوع الخارجي لم تتغير سياسات السلطة المصرية في ظل الإخوان المسلمين تجاه التحديات الخارجية وموقع مصر ودورها عما كانت عليه من قبل. حيث استمرت اسرائيل كيانا جاراً وشرعيا ورئيسها صديقاً وفياً مع فارق ان هذا يمكن تبريره في ظل نظام حسني مبارك المرتهن للغرب فيما يجيء هذا الاعتراف والتواصل اليوم من قبل تيار اسلامي كبير في المنطقة العربية ليضفي شرعية على التطبيع والعلاقة مع اسرائيل. فيما تتواصل مرحلة التفاهمات الضمنية بين النظام الجديد والغرب والتي أكدتها مواقف واشنطن من الثورة المضادة على مرسي بدعوتها إلى الحوار بين جميع الأطراف.

لقد جاء، على سبيل المقارنة، حزب العدالة والتنمية في تركيا إلى السلطة عام ٢٠٠٢ بمشروع متكامل داخليا واقتصاديا وخارجيا. فنجح اقتصاديا وتعثر داخليا فيما فشل في السياسة الخارجية. لكنه كان يعرف ماذا يريد بمعزل عن نتائج هذا الجهد.

ولا يمكن لتجربة الاسلام السياسي في مصر ان تنجح اذا لم تكن شفافة وصريحة مع الشعب المصري وتعلن عن مشروعها الحقيقي. ليس من ثورة من دون مشروع او قائد. لذا فشلت الثورة المصرية في ان توصل من حرّكها إلى السلطة فتسلق الآخرون شجرتها. واذا تجاوزنا ذلك فلا ضير ان تأتي إلى السلطة قوى لم تبادر إلى الثورة وإن التحقت بها. اذ المهم تقديم المشروع على كل الأصعدة السياسية والاقتصادية والخارجية.

ان احداً حتى الآن لا يعرف ماهو موقف الإخوان المسلمين من العلاقة مع اسرائيل وكامب دايفيد ولا من العلاقة مع الغرب وسياساته في المنطقة ولا طبيعة الدور المصري في المنطقة والكثير غيرها من القضايا المصيرية والأساسية.

نحن مع اعطاء الاسلام السياسي والحركات الدينية الفرصة في الحكم خصوصاً اذا

جاءت عبر صناديق الاقتراع بمعزل عن مدى تلبية شروط النزاهة والعدالة في الانتخابات. لكن مصر العظيمة، التي ان تحركت تحرك الجميع، تحتاج لتقدم نفسها بطريقة جديدة وثورية تتلاءم مع ما يستحقه شعبها العظيم ومع مكانتها في المنطقة بحيث تستعيد قيادة المنطقة من جديد علها تعيد للأمة هويتها كما كانت إلى نهاية الستينيات. الفرصة لا تزال قائمة لأننا نريد ان ينجح الاسلام السياسي، التقدمي، في اول تجربة له في مصر كما في تونس والمغرب. لأن الفشل ان حصل سوف يكون مؤذيا جدا لصورة الاسلام الذي لا يمكن ان يكون يوما إلا ثورياً وعزيزاً وحافظاً لحرية الأمة وكرامتها. فهل يقبل "الإخوان" التحدي فينجحوا وننجح وتنجح الأمة بكاملها؟

رئيس التحرير